الجمهوريـة الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة

وزارة التعليـم العالـي و البحـث العلمـي

جامعـة الدكتور الطاهر مولاي " سعيدة "

كلية الآداب و اللغات و الفنون

قسم: اللغة العربية و آدابها

مذكـــرة تخرج لنيل شهادة ليسانس

في اللغة العربية وأدابها

تخصص : أدب عربـــي.

من إعداد الطالبين :

- طهاري أحلام.

- معروفه محمد طارق.

إشراف الأستاذة المحترمة :

- مسـلم خيـرة

الموسم الجامعي : 1441-1442

2020 – 2019

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

باسم الله الذي لا اله إلا هو الحي القيوم نحمده حمدا كثيرا مباركا ونشكره شكرا يليق بعظمته و يناسب جلاله أن وفقنا لإتمام هذا العمل وأفاض علينا بنعمتي الصحة والعقل نسأله أن يبارك لنا فيه وينتفع به كل من اطلع عليه

اهدي هذا العمل إلى من غمرتني بحنانها الدافئ وسهرت على راحتي أياما ولياليي وصبرت على طفولتي وشبابي وعلمتني مكارم الأخلاق إلى من لم تبخل علينا بدعواتها طوال سنين إلى الغالية التي لا يغلى عنها أي شيء أمي الحنونة

إلى من كتب اسمه بحروف من ذهب في قلبي بنيت فيه تمثالا إلى من شق الطريق لأجل سعادتي إلى من رايته رجلا من الرجال إلى تاج رأسي ومثلي الأعلى "أبي الغالي "

إلى من يستحقان فائق الاحترام والتقدير "جدتاي الغاليتان"

إلى عماد البيت أخوتي وأخواتي :نور الهدى شعيب أية انس وكتكوتي الصغير "معاذ"

إلى من قاسموني دروب الحياة الجامعية إلى حبيبات قلبي : نوال رقية خولة رشيدة إيمان

إلى من علموني معنى الصبر والنضال للوصول إلى المبتغى أستاذتي "مسلم خيرة" وكل أساتذتي الكرام كل باسمه إلى سر الأمان رفيقتي الغالية والتي تحملت معي عناد

هذه المذكرة حبيبتي "رقية" وعائلتها

إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى النور

أحـــــلام

© Gigi Collin

إهداء

إلى والدي الأعزاء حبا و طاعة

و خفض جناح .

إلى إخوتي و أخواتي حفظهم الله و أدامهم بكل

صحة و عافية.

إلى الذين ملكوني عبدا حين علموني حروفا من

ذهب (أساتذتي).

إلى محبي القرآن و اللغة العربية.

طـارق

شكر وتقدير:

الحمد لله رب العالمين والشكر لجلاله سبحانه وتعالى الذي أعاننا على إتمام هذه المذكرة ونسأله مزيدا من التوفيق والنجاح بإذنه تعالى كما نتوجه بخالص الشكر والعرفان والامتنان إلى أستاذتنا" مسلم خيرة " وجهودها التي بذلتها في سبيل إخراج هذا العمل على ما هو عليه وكثيرا فجزاها الله خيرا فالدنيا والآخرة كما نتوجه بالشكر إلى كافة الأساتذة جامعة الدكتور "مولاي طاهر" سعيدة وبالخصوص قسم اللغة العربية الذين رافقونا طوال مشوارنا الدراسي وأوصلونا إلى ما نحن عليه اليوم إليهم منا فائق الاحترام والتقدير

" من علمني حرفا صرت له عبدا "

وشكرا

أحلام وطارق

مقدمـــة

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل أعظم كتاب و أوجزه، و جعله لنبيه صلوات ربي وسلامه عليه آية و معجزة، و تحدى الخلق أن يأتوا بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، و بعد:

فإن قضية التناص تعد واحدة من القضايا التي ألهبت حولها الساحة النقدية العربية

و قد اعتبر مصطلحا جديدا عرفه الخطاب النقدي العربي، حيث يعتبر أداة ناجعة لمقاربة نص واستنطاق شفراته اللغوية و بنيته العميقة و الدخول إلى أعماقه لاستخراج دلالاته

و تفاعلاته الداخلية.

ومن هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم ب:"التناص القرآني في شعر مفدي زكريا".

أما السبب الرئيسي الذي دفعنا لهذا الاختيار يكمن في مدى أهمية الموضوع الذي احتل مكانة مرموقة في الدراسات النقدية العربية.

و قد حاولنا الإجابة على مجموعة من الإشكالات أهمها:

- ما المقصود بالتناص؟
- ما الغاية من التناص؟
- كيف وظف الشاعر مفدي زكريا التناص القرآني في شعره؟

وللإجابة على هذه الإشكاليات لابد من الرجوع إلى الكتب و الدراسات التي تخدم الموضوع، و من بين المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها: "لسان العرب" لابن منظور "اللهب المقدس" لمفدي زكريا، "النص الغائب" لمحمد عزام، بالإضافة إلى مصادر و مراجع أخرى.

أما عن خطة البحث، فقد ارتأينا أن نجعلها في مقدمة يليها مدخل و فصلين، حيث أن المدخل يتحدث عن مسيرة الشاعر مفدي زكريا (مولده و نشأته، ثقافته و أساتذته، نشاطه الفكري و السياسي، ووفاته).

أما الفصل الأول جاء تنظيريا لظاهرة التناص حيث يتحدث عن مفهوم التناص و أنواعه و التناص عند الغرب و العرب المحدثين).

و أما الفصل الثاني خصصناه للجانب التطبيقي، و قد اخترنا كنموذج: "إلياذة الجزائر" لمفدي زكريا.

ثم ختمنا بخاتمة جمعنا فيها أبرز الخلاصات و الاستنتاجات التي توصلنا إليها خلال رحلة البحث.

و بالنسبة للمنهج المعتمد في هذا البحث فهو وصفي، حيث أفادنا في وصف ظاهرة التناص.

و ككل باحث تعيق طريقه صعوبات، فصعوبتنا تتعلق بغلق المكتبات بسبب جائحة كورونا مما صعب علينا توفير المراجع الكافية، لكن رغم ذلك حاولنا و لو بالقدر المستطاع أن نفهم بالموضوع نظريا و تطبيقيا.

و نرجوا أن يكون بحثنا في مستوى الجهد المبذول و في مستوى الموضوع الذي اخترناه للبحث.

مدخل

- حياة الشاعر مفدي زكرياء

1- مولده و نسبه:

هو الشيخ زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، ولد يوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326هـ، الموافق ل 12 جوان 1908م، ببني يزقن أحد القصور السبع لوادي مزاب، بغرداية في جنوب الجزائر، لقبه زميل البعثة الميزابية و الدراسة الفرقد (سليمان بوجناح) ب: "مفدي"، فأصبح لقبه الأدبي: "مفدي زكريا" الذي اشتهر به.

أما أسرته فتنحدر من بني رستم الذين أسسوا مدينة تيهرت في القرن الثاني من الهجرة

و تعرف اليوم بمدينة (تيارت) غرب الجزائر و دولة بني رستم هي أول دولة جزائرية ذات سيادة كاملة غير مرتبطة بتبعية لا إلى الحفصيين و لا إلى بني زيان، دامت زهاء قرنين

و تحقق على عهدها لأول مرة في التاريخ توحد المغرب العربي الكبير.[1]

2- ثقافته و أساتذته:

التحق مفدي زكريا بالكتاب كغيره من أبناء القرية ليحفظ القرآن الكريم و يتعلم ما تيسر له من علوم الشريعة الإسلامية، و لما بلغ السابعة من عمره التحق بأبيه إلى مدينة عنابة حيث كان مركز تجارته، و ظل الفتى يتردد بينها و بين مسقط رأسه حتى أذن الله لبني ميزاب أن يلجوا أبواب الحياة الجديدة ليأخذوا بأسباب النهضة الثقافية و كان مفدي زكرياء من بين أفراد البعثة العلمية التي قصدت تونس للأخذ من مناهلها العلمية تحت رئاسة أساتذة فضلاء أمثال: "الشيخ محمد الثميني"، و "الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى"، و "صالح بن

[1] حواس بري، شعر مفدي زكريا ـ دراسة و تقويم ـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1994م. (د.ط)، ص27.

يحيى"، و "إبراهيم أطفيش"، على هؤلاء و غيرهم درس مفدي زكريا دروسا دينية و أخرى في الوطنية.[1]

و قد التحق بمدرسة السلام القرآنية، و مكث فيها سنتين وكانت هي المدرسة التي تلقى فيها مبادئ العربية و العلوم الكونية على يد ثلة من الأساتذة من بينهم: "الشاذلي الموالي" "عبد العزيز الباروني"، أما عن الأساتذة "صالح بن الأحمر"، فقد تلقى عنه مفدي زكريا مبادئ اللغة الفرنسية و من هذه المدرسة (مدرسة السلام القرآنية) تحصل على الشهادة الابتدائية في العربية.

ثم دخل إلى المدرسة الخلدونية، و فيها درس الحساب و الهندسة و الجبر و الجغرافيا

و التاريخ الإفريقي ثم التحق بجامع الزيتونة و فيه سمحت له الفرصة بأن يطلع على كتب ذات أهمية بالغة في النحو و البلاغة و الأصول و من بينها كتاب "الشعر و الشعراء" لإبن قتيبة، و "فقه اللغة" للثعالبي، و كان مفدي يحضر التداولات التي كان يديرها الأديب "العربي الكبادي" في الأدب في مدرسة الترجمة للغة العربية العليا، ثم التحق بالمدرسة الخلدونية مرة ثانية و نال الشهادة الثانوية منها.[2]

و مما يسجل العلماء ـ آنذاك ـ أنهم لم يكتفوا بتلقي النشء دروسا في اللغة و آدابها

و الشريعة و مقاصدها فحسب، و إنما كانوا حريصين على تكوينه سياسيا و دينيا و ثقافيا و لقد كان لتلك التربية انعكاسها على "مفدي زكريا" و كان بذلك الشاب الوطني و الرجل الثوري و الشاعر الصارخ في وجه أعداء الوطن و العروبة و الإسلام.

[1] حواس بري، المرجع السابق، ص27-28.

[2] حواس بري، شعر مفدي زكريا، ص28.

و يضاف إلى جهد أساتذته، نشأته في حضن عمه الشيخ "صالح بن يحيى" الوطني الثائر و أحد الأقطاب الثلاثة الذين أسسوا الحزب الدستوري التونسي و غذوا الحرب الطرابلسية (الليبية).

كما فتح مفدي زكريا عينه على شخصية الزعيم الوطني الكبير "عبد العزيز الثعالبي" الذي كان يرى في شخصه نموذجا حيا للغيرة الإسلامية و الوطنية المتدفقة و في أحضان البعثة الميزابية في تونس، و قد تلقى مفدي دروسا في الوطنية و الدين على رجال يعلمون الناشئة بأفعالهم قبل أقوالهم و يقدمون النموذج الحي بسلوكهم قبل دروسهم، من أمثال: "أبي إسحاق"، و "إبراهيم أطفيش".

3- نشاطه السياسي و الفكري:

إن التربية التي تلقاها مفدي زكريا جعلته يتعلق بسير الأبطال و العظماء من الرجال

و في هذا يقول عن نفسه و عن صديقه "رمضان محمود" و كيف كان يلتهمان كتب الأبطال العظماء: "أتذكر أننا تحالفنا على أن يسرد تاريخ مصطفى كامل المصري في مدة خمسة عشر يوما فأتينا على قراءته باستغراق جميع أوقات النهار و زلف من الليل"، و يقول في موضع آخر عن نفسه: "شغفت بالآداب طفلا و بتاريخ الأبطال من عظماء الأوطان" هذا ميدل على أن مفدي خليق لأن يكون رجلا سياسيا له مواقف و آراء التي تبلورت فيما بعد و عرفت في شعره و اتضحت في نثره.[1]

و قد عرف مفدي زكريا النشاط السياسي و هو طالب في تونس، فقد انضم في سلك الشبيبة الدستورية منذ سنة 1922، و عند عودته إلى وطنه سنة 1926م إلتحق بحزب نجمة إفريقيا الشمالية، و بعد أن عمدت السلطات الاستعمارية على هذا الحزب تأسس بعده

[1] حواس بري، شعر مفدي زكريا، ص35.

و بدلا عنه (بعد شهور) حزب الشعب في 1936/03/27، و هنا عمل مفدي كأمين عام للحزب و عند صدور العدد الأول من الجريدة يوجه الشاعر بقصيدة يحيي فيها الأحزاب التي سبقت حزبه، و في هذه القصيدة تجلت معاني الحب و الوطنية و الإيمان العميق

و الحب الخالص للجزائر:

فِدَاءُ الجَزَائِرِ رُحِي و مَالي أَلاَ في سَبيِل الحُرِّيةِ

فَلنَحيَ (حِزْبُ الاسْتِقْلالِ) و (نَجْمِ شَمَال افْريقيه)

مِثَالُ الفِدَا و الوَطَنِية.[1] وَليَحيَ شَبَابُ الشَّعْبِ الغَالي

هذه القصيدة التي سرت على لسان كل جزائري، فكانت المحفزة على الثورة والجهاد لتحي الجزائر مستقلة لها كرامتها وسيادتها ، وفي النشيد تنديد بسياسة الاندماج والفرنسة عن طريق الجبهة الشعبية الفرنسية في نطاق مشروع (بلوم فيوليت) تلك الجبهة التي تحمس في الدعوة إليها ما يسمى بجامعة التواب.

يوم 29 أوت 1937 زج بمفدي زكريا في السجن بتهمة التآمر ضد أمن الدولة الفرنسية ومن غياهب السجن تفجرت قريحته بنشيد الشهداء، وفي سنة 1956صدر الأمر من جبهة التحرير إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود للمقصلة ونختار منه الأبيات الآتية:

اعْصِفي يَا رِياحِ واقْصِفي يارُعُودْ

وانْحَني يا جِراحُ واحْدِقي يا قُيُودْ

نَحْنُ قُوَّمٌ أَبَاهُ لَيْسَ فِينا جَبَّانْ

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983م، (د.ط)، ص104.

قَدْ سَئِمْنا الحَياةُ في الشَّقا و الهوانْ.

فلا نعجب عندما نجد مفدي زكريا وبعض زملائه في السجن يصدرون جريدة (البرلمان الجزائري) الأسبوعية، مديرها المناضل "أحمد بودة" ومفدي زكريا رئيس تحريرها بسجن الحراش، ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية، أصدرت الإدارة الفرنسية قرارها بحل حزب الشعب واعتقل بعض أعضائه، ومنهم مفدي زكريا في 14 أكتوبر 1939، بدون أي سبب مباشر سوى ته م التشويش وتحريض الجماهير ضد السيادة الفرنسية، ولما خرج مفدي زكريا من السجن استأنف نشاطه السياسي في حزب انتصار الحريات الديمقراطية ولما اندلعت ثورة نوفمبر المباركة سنة 1954وحل الحزب انتخبت جبهة التحرير الوطني ارتمى في أحضانها بكل ثقله، ونشأ النشيد الوطني(قسما) سنة 1955 ومنه قوله:

قَسَمًا بالنّازِلات الماحقات والدِماء الزّاكيات الطاهرات

و البَنودِ اللّامعات الخَافقات في الجبال الشامخات الشاهقاتْ

نَحْنُ ثُرْنا فحياةٍ أو ممات و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا فاشهدوا فاشهدوا.....[1]

اعتقل يوم12 أفريل1956 بتهم تعددت أسماؤها وألوانها، وما دام مفدي زكريا هو شاعر الثورة وحاديها يغني لها ويتغنى بها، فأصبح من المؤكد أن يرهقه الاستعمار الفرنسي عذابا في السجون وفي تلك الفترات التي كان خارج السجن يشتغل بالتجارة، إلا أنه لم يذق طعم النجاح فيها أبدا... ولكننا نرجح أن مفدي زكريا لم يشتغل بالتجارة حبا فيها، وإنما كانت بالنسبة له وسيلة لا غاية، يريد من خلالها أن يبعد الأنظار عنه ليعمل في الساحة مطمئن البال هادئ النفس.

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص71.

هذا موجز عن نشاطه السياسي، أما عن نشاطه الفكري فهو كغيره من رجال الفكر والأدب، حين يظهرون على مسرح الحياة الفكرية أو العلمية أو الأدبية ... بما يسهمون به من أعمال، وما يؤدونه من ممارسات في هذا الحقل أو ذلك ولو بباكورة إنتاجهم، أو بداية نشاطهم، ومفدي زكريا كهؤلاء وغيرهم سطع نجمه في تونس، لما كان يساهم في إخراج مجلة تتماشى ومستوى أقرانه من أبناء البعثة الميزابية، بما ينظمه من أشعار أو بما يكتبه من مقالات وآراء حرة، ولما اشتد ساعده وأصبحت له تجربة بحكم الدربة والممارسة، تقلد مفدي زكريا رياسة تحرير مجلة الحياة سنة 1933التي أنشأها مع صديقه "أبي سعيد عدون" وكانت لا تمثل أي اتجاه حزبي معين.

كان مفدي شغوفا بالعمل الصحفي منذ نعومة أظافره ولذا نجد إذاعة تونس قد استولت عليه، حيث كان يقدم برنامجا تحت عنوان "حديث الصباح" وهو عبارة عن التعريف بالأعلام ورجال الفكر والأدب في المغرب العربي، ولقد حاول الشاعر أن يجمع هذه المقالات تحت عنوان "الصحافة العربية في المغرب العربي"، إلا أن القدر لم يمهله ومن بين الجرائد التي اشتغل فيها مفدي زكريا، جريدة "الإذاعة" بتونس و جريدة "البرلمان" و جريدة "الشعب" الجزائريتان.

وهذا دليل على أن مفدي زكريا كان يؤمن بأن الجرائد والمجلات هي مدارس متنقلة، تلعب دورا خطيرا في تحريك الهمم وشحذ العزائم ولا تقل أهمية عن غيرها من وسائل الإعلام والتثقيف، و لاسيما في النشاط السياسي إذ تعتبر من الوسائل المهمة في تكوين الوعي السياسي لدى الجماهير، فقد حاول مفدي زكريا أن يجعل من الأقلام الجادة مجاهدة تعمل على تنوير العقول التي حجب الإستدمار عنها نور العلم والمعرفة، وبين أن جهاد القلم لا يقل قيمة عن دور البندقية والرصاصة، ولذا أنحْى باللائمة على من اكتفى بالقول دون أن يعمل مجاهدا على تحرير وطنه.

4- وفاته:

كانت على إثر سكتة قلبية انتقل مفدي زكريا إلى جوار ربه يوم: 17أوت 1977، بعد أن أدى فريضة الحج هو وزوجته، وقد طلبت كل من الحكومتين التونسية والمغربية أن تتولى دفن جثته في أرضها إلا أن الحكومة الجزائرية أبت ذلك وجعلت الأرض التي أحبها ودافع عنها بكل قواه تحتضنه، وبذلك دفنت جثته في مسقط رأسه (بني يزقن) بغرداية جنوب الجزائر، ترك مفدي زكريا ابنا اسمه صلاح سليمان، وعائشة استقلال، وصالحة فداء.

توفي مفدي وهو حامل لوسام الكفاءة الفكرية في الدرجة الأولى من ملك المغرب، ووسام الإستقلال من الدرجة الثانية من رئيس جمهورية تونس ووسام الإستحقاق الثقافي من الحبيب بورقيبة أيضا.

5- آثار مفدي زكريا الأدبية و مؤلفاته :

أ- الآثار الأدبية:

لقد رحل مفدي زكريا وترك تراثا ضخما قيد التحقيق والنشر وما نشر من كتاباته لحد الآن ضئيل جدا، ولا يمثل إلا عشر كتاباته لأنه كان يكتب بكل مناسبة تصادفه وتراثه الأدبي ليس كله شعر، بل هناك كتابات نثرية لا نعرف منها إلا العناوين:

"تاريخ الصحافة الجزائرية"، "تاريخ الفلكلور الجزائري"،"أضواء على وادي ميزاب (درامة)، "نحو مجتمع أفضل"، "سبع سنوات في سجون فرنسا"، "حوار المغرب العربي الكبير" (اللهجات) ،"العادات والتقاليد في المغرب الموحد"، "الثورة الكبرى (أوبرت)"، "في العيد (رواية)"، "عوائق انبعاث القصة العربية"، "مائة يوم ويوم في المشرق العربي"، "الجزائر بين الماضي والحاضر"، "مذكراتي "، "الصراع بين الشعب الأصيل والدخيل"، "اللهب المقدس" "انطلاقة"، "من وحي الأطلس"، "تحت ظلال الزيتون"، "الخافق المعذب"، "إلياذة الجزائر".

ب- المؤلفات:

اعتقد كثير من دارسي الأدب الجزائري أن مفدي زكريا لم يكن من الشعراء الذين كثر إنتاجهم الفكري وتعددت دواوينهم الشعرية ولكن فاتهم أن لمفدي زكريا إنتاجا أكبر مما يتصورون، تناثر في الجرائد والمجلات الجزائرية والتونسية نثرا وشعرا تقرأ له محاضرات أدبية بدور الثقافة بمغربنا الكبير أو برامج في مِ ختلف المواضيع بإذاعات كل من المغرب وتونس والجزائر.

- **المؤلفات المطبوعة**:

– "اللهب المقدس" طبع منه طبعتان: الأولى في بيروت سنة 1961والثانية في الجزائر سنة 1983خصه الشاعر للثورة الجزائرية.

– "تحت ظلال الزيتون": نظمه الشاعر لتونس الخضراء، طبع مرة واحدة سنة 1965.

– "من وحي الأطلس": خصه الشاعر للثورة في المغرب الأقصى طبع مرة واحدة سنة 1976وقدم للدكتور "عباس الجراري" أستاذ بكلية الأدب جامعة محمد الخامس.

–" إلياذة الجزائر": نظمت في ملتقى الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر سنة 1972بلغ عدد أبياتها 1000 بيت وبيت.

–"دليل المغرب العربي الكبير": وكان يهدف من وراء ذلك إلى تسهيل الاتصال بين دول المغرب العربي.

الفصل الأول

1- مفهوم التناص:

أ- لغة: ورد في كثير من المعاجم اللغوية مفهوم التناص، فيقول الجوهري (ت393هـ): "نصصت الشيء: رفعته و منه منصة العروس، و نصصت الحديث إلى فلان، أي رفعته إليه[1]، و نصصت الرجل، إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده، و نص كل شيء: منتهاه"[2]

و يقول ابن فارس (ت395هـ):" النون و الصاد صحيح يدل على رفع و ارتفاع وانتهاء في الشيء، منه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه، و النص في السير أرفعه، و يقال نصصت ناقتي، و بات فلان منتصا على بعيره، أي منتصبا... و هو القياس لأنك تبتغي بلوغ النهاية".[3]

و لا يختلف ابن منظور (ت711هـ) في معنى مادة نصص عن سابقيه فيقول: "النص أصله منتهى الأشياء و مبلغ أقصاها... فنوص الحقاق إنما هو الإدراك.. و منتهى بلوغ العقل، و نصصت الشيء حركته.. و نصص الرجل غريمه إذا استقصى عليه في السؤال و الحساب".

و بالرغم من عدم وجود مصطلح تناص في المعاجم التراثية يوجد بعض التقارب بين المحسوس المادي و المجرد المعنوي للفظ في الدلالات التالية: الجمع و التراكم و الاستقصاء، التي تحيلنا إلى معناه النقدي: التداخل.

---

[1] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تح: شهاب الدين عمر، دار الفكر، دمشق، 1990م، ط01، ج3، ص1058.

[2] أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة،تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، 1979م، ط2، ج5، ص357.

[3] ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير و آخرون، دار صادر، بيروت، لبنان، 2010م، ط3، ج3، ص97.

ب- إصطلاحا:

لم يتفق المترجمون العرب على تعريبه إلى مصطلح واحد، فمنهم من عرّبه إلى التناصية، و إذا كان التناص أكثر شيوعا، و منهم من عرّبه إلى النصوصية و آخرون سموه التداخل النصي.[1]

و تنصهر داخل كل نص صلات علائقية مستدعاة من عوالم ثقافية متنوعة لأن كل نص يتوالد عن نصوص أخرى فهو محكوم حتما بالتناص، فعملية الخلق الأدبي عملية معقدة تذوب في كيانها مختلف النصوص و الحقول المدمجة مع النص المتشكل بوعي كامل أو نسبي من المبدع.

فالنص منسوج تماما من عدد من الاقتباسات و من المراجع ومن الأصداء للغات ثقافية سابقة أو معاصرة تتجاوز النص من جانب إلى آخر في تجسيمة واسعة[2].

و يعتبر التناص أثر من آثار القراءة و المثاقفة، فهناك علاقة وطيدة بين النص السابق و النص الحاضر لإنتاج ما هو لاحق، إذا فهو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة.

و هو: نصوص جديدة تنفي مضامين النصوص السابقة و تؤسس مضامين جديدة خاصة بها يستخلصها مؤول بقراءة إبداعية مستكشفة[3].

---

[1] ينظر: محمد عزام، النص الغائب –تجليات التناص في الشعر العربي–، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص39.

[2] ينظر: محمد خير البقاعي، دراسات النص و التناصية، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، 1998م، ط1، ص16.

[3] ينظر: محمد مفتاح، المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1999م، (د.ط)، ص41.

فمن خلال هذه المفاهيم يمكننا القول أن التناص هو ظاهرة تفاعل النصوص فيما بينها بمعنى إنتاج نص نص جديد يعتمد على التفاعل النصي من خلال تفاعل النصوص السابقة و النصوص اللاحقة و تجاوزها و التداخل بينها.

2- التناص عند الغرب و العرب المحدثين :

أ- عند الغرب المحدثين:

اتخذ التناص عند النقاد الغربيين مفاهيم عديدة و متنوعة قبل أن يصبح متداولا في الساحة النقدية، فإذا تتبعنا جذور مصطلح التناص عند النقاد الغربيين نجد أن ظهوره للمرة الأولى كان على يد الباحثة "جوليا كريستيفا".

1- جوليا كريستيفا Julia Kristeva

استعملت مصطلح التناص في أبحاث لها أنجزت ما بين (1966-1967) و صدرت في مجلتي: "تيل-كيل(tel-quel) و "كريتيك" (critique) و أعيد نشرها في كتابيها "سيميوتيك" (sémiotique) و " نص الرواية" (le texte de roman)، أتت "جوليا" بهذا المصطلح الذي يمثل عندها: "تقاطع نصوص، ووحدات من نصوص ،في نص ،أو نصوص أخرى فأصبح النص في منظورها لوحة فسيفساء من الاقتباسات، فكل نص يستقطب ما لا يحصى من النصوص التي يعيدها عن طريق التحويل، والنفي، أو الهدم وإعادة البناء".[1]

و قد كانت ترى هي ومن يعمل معها في مجلة "تيل-كيل" (tel-quel): "أن النص لا يقوم بذاته، وإنما هو مجموعة من تقاطعات لنصوص أخرى يقوم بامتصاصها فتنخرط في

[1] صباح باي، التناص في شعر مفدي زكريا "الإلياذة أنموذجا"، جامعة بوضياف، المسيلة، 2014-2015، ص17-18.

بنيته، وبالتالي يكون كل نص كموازيك من الإستشهادات وكل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر".

تابعت "جوليا كريستيفا" هذا المصطلح في مؤلفها اللامع (علم نص) حيث أطلقت على الحوار الذي تقيمه النصوص فيما بينها مصطلح (الحوارية) وعرفتها بأنها: "العلاقة بين خطاب الآخر وخطاب الأنا، ثم باسم: (عبر النصوص transtextualité) ثم (التصحيفية paragrammatisme) ثانيا، و بمفهوم "الامتصاص" ثالثا و ذلك في قولها: "كل نص هو امتصاص و تحويل لوفرة من النصوص الأخرى"[1].

وتقول "جوليا كريستيفا" في موضوع آخر عن التناص أنه: "هو النقل لتعبيرات حالية أي معاصرة، أو استخدامها من نصوص غير معاصرة، ومن ثم فالتناص تحويل أو اقتطاع من نص إلى آخر"[2]

إذن هي نصوص تتم صناعتها عبر امتصاص، وفي نفس الآن عبر هدم النصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصيا، ويمكن التعبير عن ذلك بأنها ترابطات متناظرة ذات طابع خطابي ومن خلال ما سبق: "فإن قراءة نص كأنه إعادة لقراءة نصوص أخرى"[3]

2- رولان بارت Roland Parthes

عرف هذا المصطلح عند "رولان بارت" سنة 1973، فقد عمل على تطويره وعمق البحث فيه، ولكنه قد زاده غموضا لانفتاحه على آفاق ومصادر لانهائية ولا محدودة بحيث يقول في مقالته من العمل إلى النص: ""أن كل نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات

[1] صباح باي، التناص في شعر مفدي زكريا، ص18-19.

[2] رجاء عيد، القول الشعري "منظورات معاصرة"، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، الإسكندرية، 1995م، (د.ط)، ص225.

[3] المرجع نفسه، ص225.

والأصداء، وهذه لغات ثقافية قديمة وحديثة ... وكل نص (الذي هو تناص مع نص آخر) ينتمي إلى التناص وهذا يجب ألا يختلط مع أصول النص، فالبحث عن مصادر النص أو مصادر تأثيره، هي محاولة لتحقيق أسطورة نبوة النص مجهولة (المصدر) ولكنها مقروءة فهي اقتباسات دون علامات تنصيص"[1].

و يرى "رولان بارت" أن النص يقيم نظاما لا ينتمي إلى النظام اللغوي ولكنه على صلة وطيدة معه، صلة ترابط وتشابه في نفس الوقت وهذا المفهوم ذكره في مقالة (من العمل إلى النص).[2]

كما يواصل "رولان بارت" ما انتهت عنده "جوليا كريستيفا" من مطروحات حول النص ولاسيما النص والتناص إذ يقول: "كل نص ليس نسيجا من استشهادات سابقة ويتحدث بارت عن النص بوصفه جيولوجيا كتابات"[3]

فالتناص عنده أمر حتمي لكل النصوص ويعطي مثالا على ذلك حيث يقول: "إن مؤلفات بروست هي المؤلفات المرجعية بالنسبة لي".[4]

ومن خلال هذا القول يبرز دور المتلقي في خلق التناص و قدرته المرجعية التي بواسطتها يقيم العلاقات بين النصوص الأخرى و النصوص المقروءة.

---

[1] أحمد الزغبي، التناص التاريخي و الديني، مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية "رؤيا" لهاشم غرايبة، مجلة أبحاث اليرموك، الأردن، 1990، (مج 13-14)، ص170-171.

[2] حصة البادي، التناص في الشعر العربي الحديث "البرغوث نموذجا"، دار كنوز المعرفة، عمان، 2009م، ط1، ص14.

[3] أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد- دراسة-، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2007م، ط1، ص29.

[4] المرجع نفسه، ص30.

3- جرار جنيت Gérard Genette

قام جرار جنيت بمراجعة عامة لمفهوم التناص، اعتمادا على تصور جديد للشعرية، لم تعد عنده بجامع النص، بل أصبحت متصلة بقسم مهم سمي "بالمتعاليات النصية" وهي "كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو ضمنية مع نصوص أخرى".

كما يقصد "بالمتعاليات النصية": "تعالق النصوص بعضها ببعض بطريقة ظاهرية أو خفية".

فهذا المصطلح حل محل التناص عام 1982م حيث حدد خمس أنماط من المتعاليات النصية و هي: التناص Intertexte، المناص paratexte، المتناص métatexte، النص اللاحق hyperlexte، معمارية النص larchitexte.[1]

كما يقول "جيرار جنيت" في جامع النص: "يهمني النص حاليا من حيث تعاليه النصي أي أعرف كل ما يجعله في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص".[2]

كما يضيف أن التناص هو: "تلاحق النصوص عبر المجاورة والاستلهام، والاستنساخ بطريقة واعية أو غير مقصودة كما هو الشأن لدى كريستيفا وباختين".[3]

ب- عند العرب المحدثين:

لقد أحدث مصطلح التناص ضجة كبيرة وشغل الحداثيين جميعا وأدخلهم في جدال نقدي من بينهم النقاد العرب، إن تعدد التعاريف لهذا المصطلح النقدي أدت إلى تعدد دلالاته ومفاهيمه في الدراسات النقدية.

---

[1] يحيى بن مخلوف، التناص l'intertextualité مقاربة معرفية في ماهيته و أنواعه و أنماطه (حسان بن ثابت أنموذجا)، دار قانة، باتنة، 2008م، (د.ط)، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص20.

[3] المرجع السابق، ص20.

1- محمد مفتاح:

يرى محمد مفتاح: "أن التناص بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونهما ولا عيشة له خارجهما".[1]

فهو بالنسبة له تعالق نصوص مع نص حديث أي الدخول في علاقة، وتمثل التناص عنده في نوعين هما: "المحكاة الساخرة (النقيضة) والمحكاة المقتدية والتناص في رأيه يأتي على شكلين بحسب المرجع أو الإحالة".[2]

كما قسم التناص إلى قسمين: "التناص الداخلي" هو علاقة نصوص الكاتب أو الشاعر اللاحقة بالسابقة، أما "التناص الخارجي" فهو علاقة النص بالثقافة التي ينتمي إليها وفي حيز تاريخي معين وجعل من آليات التناص التمطيط الذي يحصل بأشكال مختلفة أهمها الجناس بالقلب وبالتصحيف، والكلمة المحور وغير ذلك والإيجاز الذي حصره في الإحالات التاريخية".[3]

كما بين محمد مفتاح الآثار البسيطة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية والمتمثلة في الدراسات الحديثة التي تقوم على دعامتين أساسيتين هما:

1- التوالد والتناسل: ذلك أننا نجد أثرا أدبيا أو غيره يتولد بعضها مع بعض وتقلب النواة المعنوية الواحدة بطرق متعددة، وفي صور مختلفة.

2- التواتر: ويتمثل في إعادة نماذج معينة وتكرارها لارتباطها بالسنة وبالسلف ولقوتها الإيحائي.

---

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "إستراتجية التناص"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1992م، ط03، ص125.

[2] أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ص42-43.

[3] المرجع السابق، ص121-125.

2- محمد بنيس:

يعد "محمد بنيس" من النقاد المعاصرين الذين اهتموا بمصطلح التناص وتوسعوا في مجاله بحيث نجد في كتابيه (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب) و (حداثة السؤال) قد غير بعض مصطلحات التناص بمصطلحات جديدة مثل: "النص الغائب وهجرة النص، فالنص الغائب عنده عبارة عن دليل لغوي معقد تتداخل فيه عدة نصوص فلا نص يخرج عن النصوص الأخرى أو يمكن أن ينفصل عن كوكبها".[1]

فبعد توظيفه للنص الغائب انتقل إلى مفهوم هجرة النص الذي قسمه إلى قسمين نص، ونص مهاجر إليه، فالنص حسب نظره لا يكون فاعلا خارج إعادة إنتاج ذاته إلا من خلال القراءة لأن النص إذا فقد للقراءة يتعرض للإقصاء ولكي يكون النص فاعلا ومنتجا مستمرا لذاته يجب عليه أن يهاجر باعتبار هجرة النص من الشروط الأساسية التي تعيد إنتاجه وإعداده من جديد، فالنصوص عنده دليلا لغويا معقدا وشبكة من النصوص اللانهائية، غير أن النصوص الأخرى المستعادة في النص أي النصوص الغائبة التي تم استحضارها فإنها تتبع مسار التبدل والتحول وهذا حسب درجة وعي الكاتب بعملية الكتابة، ومستوى تأمل الكتابة ذاتها ، كما يحدث التناص عنده من خلال قوانين ثلاثة وهي: "الاجترار والامتصاص والحوار[2]."

[1] محمد بنيس، حداثة السؤال بخصوص الحداثة في الشعر و الثقافة، دار التنوير، الدار البيضاء، المغرب، 1988م، ط2، ص85.

[2] أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ص44.

3- رجاء عيد:

يتولد النص عنده من بنيات نصوص أخرى في جدلية تتراوح بين هدم/ بناء وتعارض/ تداخل، وتوافق/ تخالف حيث يقول: "إن تلك النصوص المتناصة مع نص بعينه تمتلك حضورا لا يمكن تحاشيه ولا يمكن نفيه فتلك المداخلات النصية تتكشف على سطح النص ولكنها- على حسب منشئه- لا تظل منفصلة وإنها تخضع لتحولات ومتحولات يتمثلها النص والذي هو جملة توزيعات ملفوظة سابقة عليه ومحايثة له".[1]

فالنص المتناص له أثره في توجهات القراءة وهي ليست تجمعات مجانية ولا تداعيات سلطوية في مخزون الذاكرة ومن هنا: "فإن السمة الفارقة للنص المتناص أنه يتيح تفاعلية القراءة مع تزامن البنيات مهما تختلف مسافاتها الزمنية وذلك من خلال التواليات والدالات".[2]

ويتضح لنا مما سبق أن التناص ظاهرة لغوية معقدة مستعصية الضبط تتطلب المعرفة الواسعة للقارئ، يقوم على مقاربة تحليلية، هي التحولات، ومسار التبادلات، وكيفية التمثيل لنص سابق ومدى حضوره في نص لاحق لأن النص المتناص يتناهي في علاقات غير أحادية السمة مع نصوص أخرى قد تكون علاقة تقاطع أو تبديل آو اختراق أو تحويل.

وفي الأخير يمكننا القول أن النقاد الغرب والعرب المحدثين قاموا بجهود جبارة في تحديد مفهوم "التناص" وكل ما يتعلق به من أنواع وأشكال ومستويات ... إلخ، فمن خلال إسهاماتهم في مجال التناص النظري والتطبيقي، اتخذوا منه أداة إجرائية وكشفية في مقاربة النصوص الشعرية والسردية.

---

[1] رجاء عيد، القول الشعري، ص227 .

[2] المرجع نفسه، ص227.

3- أنواع التناص :

قسم التناص إلى أنواع متعددة نذكر منها:التناص الذاتي، التناص الداخلي(المغلق)، التناص الخارجي (المفتوح)، التناص المرحلي.

أ- التناص الذاتي: و هي: " علاقات تعقدها نصوص الكاتب بعضها مع البعض الآخر، و التي تكشف بدورها عن الخلفية النصية التي يتعامل معها الكاتب"[1].

و عليه فإن التناص الذاتي مهم للغاية في معرفة ثقافة الأديب، و كيفية تناص إنتاجه تناصا ذاتيا.

و يشترط في هذا النوع من التناص على الكاتب حتى يكون مبدعا، و أن لا يقف عند حد دلالاته القديمة و معانيه الثابتة دون ابتكار أو تجديد، بل عليه تجاوز التجربة السابقة إلى كتابة أكثر انفتاحا على الخلفيات النصية.

ب- التناص الداخلي (المغلق): في هذا المجال يكون التناص أوسع مما سبق حيث يركز على إستراتجية التحرير و الامتصاص و التفاعل النصي، فيكشف لنا علاقة نصوص الشاعر بالمخزون الثقافي الذي ينتمي إليه، بمعنى نصوص الكاتب الذي نحن بصدد دراستها بنصوص معاصريه خاصة إذ يرى محمد عزام: "أن التناص الداخلي هو حوار يتجلى في (توالد) النص و (تناسله) و تناقش فيه: الكلمات المفاتيح أو المحاور، و الجمل المنطلقات و الأهداف، و الحوارات المباشرة و غير المباشرة، فهو إعادة إنتاج سابق في حدود من الحرية".[2]

---

[1] حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، (د.ط)، ص45.

[2] محمد عزام، النص الغائب، ص 30-31.

ج- التناص الخارجي (المفتوح):

و هو أوسع بكثير، يتفاعل النص الواحد و يتداخل مع كم كبير من النصوص و هو يرتبط بدراسة علاقات النص بنصوص عصر معين أو جنس معين من النصوص، فهو تناص مفتوح و مكثف حين تتصارع الأجناس و تتفاعل و تتوحد و تتحاور من أجل تشكيل نص جديد و هنا تتجلى القيمة الخاصة للمبدع و دوره الإبداعي في تعميق المضمون الدلالي للنص الذي يقوم بعملية تشرب النصوص و الأجناس و تحويلها.

د- التناص المرحلي:

و هو التناص الحاصل بين نصوص جيل واحد و مرحلة زمنية واحدة و يقع التناص كثيرا و ذلك لأسباب عدة منها تقارب الحياة الاجتماعية و الثقافية لدى نفر من المبدعين، و قد يكون الأمر عائدا إلى مسألة الانتماء إلى حزب أو جماعة أدبية واحدة، فضلا عن وحدة اللغة و الميراث.[1]

[1] أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، ص61 .

الفصل الثاني

1/التناص مع القران الكريم في شعر مفدي زكرياء :

لم يكن مفدي زكرياء مبدعا في شعره من حيث صلته بالقران الكريم وتأثره به ذلك إن ثقافة العربية على لتوالي العصور الإسلامية كانت في مجملها تعتمد القران الكريم مصدرا تدور حوله الأبحاث والدراسات اللغوية والأدبية والفكرية، وهناك العديد من النماذج من بدايات العصر الإسلامي إلى العصر الحديث على أن مفدي فاق الكثير من أقرانه الشعراء في اعتماد اللغة القرآنية وليس هذا مدعاة للغرابة فقد كان لنشاته الدينية وبيئته الثقافية والاجتماعية التي تحكم الدين في السلوك اليومي اثر على حياته وشعره .لقد تربى في منطقة معروفة بتدينها الواسع وولائها الكبير للمعتقد فلم يتبين عن هذا الجو الديني ولا عن أساليبه التعليمية ثم كان لنشأة الحركة الإصلاحية التي وجد فيها الشاعر نفسه محاطا بها ومن ثم أحد رموزها الفاعلين مما عمق ثقافته الإسلامية فاعتمدها وسيله اتصال بالجماهير وطريقة الرد على الخصوم والأعداء.فضلا عن ذلك فان البيئة الميزابية لم تكن متأثرة بالثقافة العربية ولم تستفحل فيها الحركات الأجنبية ولهذا وجد الشاعر نفسه يكرع من نبع الصافي القران الكريم والتراث العربي القديم الذي لا يخلو هو الآخر بدوره من الأثر القرآني .

وقد لاحظنا أن صلة الشاعر بالقران الكريم كانت عميقة فتركت آثارها في أكثر من جانب ولذالك ارتأينا أن ندرسها من حيث اللغة والصورة والرمز والموسيقى.

اللغة :

يختلف الشعراء في التعامل مع أداة التجربة الشعرية فيصبح لكل شاعر ميزة يتفرد بها في تناول اللغة فهناك مثلا من يأخذ الألفاظ والتراكيب الجاهزة دون اجتهاد للإيداع في مجال العلاقات اللغوية ومفدي زكرياء ينهج طريقة خاصة تتميز بإلتصاقه الشديد بالقرآن الكريم ونهله منه مفردات وتراكيب يحسن توظيفها.

ولعل قارئا يقول أن الألفاظ التي احتواها القرآن الكريم هي ملك اللغة العربية قبل أن يستخدمها القرآن الكريم ومن هذا الشاعر حر في التعامل معها .وأن مفدي زكرياء وهو ينظم أشعاره يعتمد على ذخيرته اللغوية، والتي تكونت لديه من اتصاله الوثيق بالقرآن وبلغة القران والقارئ لأشعاره يجد أساليب وكلمات القرآن مبسوطة أمامه ومنتشرة في أشعاره وبالتالي فانه يصدر عن معجم اللغة العربية العام وكلما قرأ القارئ قصائده يستحضر الكثير من ألفاظ القران الكريم من ذلك قوله :

واقض يا موت في ما آنت قاضي أنا راض إن عاش شعبي سعيد[1]

فهذا اقتباس من قوله تعالى:" قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا " [2]

[1] كتاب اللهب المقدس ص 10 .

[2] سورة طه الآية 72.

فالعبارة الواردة في الآية الكريمة تناص نلاحظه في الشطر الأول" فاقض يا موت في ما أنت قاض" تدل على رسوخ مبدأ القدر الديني في معتقد الشاعر.

زعموا قتله ....وما صلبوه ليس من الخالدين عيسى الوحيدا[1]

فهذا تعبير قراني حيث شبه الشهيد بالنبي عيسى عليه السلام الذي رفعه الله إليه ولم يمت وان الشهيد عند الله حي يرزق وهذا مقتبس من قوله تعالى " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ .وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ . وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا " [2].

وفي قوله ضمن قصيدته "وتعطلت لغة الكلام".

والزرع اخرج في الجزائر شطاه فمضى وهب إلى الحصاد كرام

والشعب شق إلى الخلود طريقه فوقه الجماجم والخميس لهام[3]

يناص قوله تعالى " كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا "[4].

[1] اللهب المقدس ص11.

[2] سورة النساء الآية 157.

[3] اللهب المقدس ص 44-45.

[4] سورة الفتح الآية 29.

ففي كلمة "الزرع" دلالة الخصب والنماء والزيادة وقد وظفها للإشارة إلى جهاد الشعب الجزائري ونضاله المثمر الذي أينع وتحدى الصعاب وحقق النتيجة في قوله:

ضاق الخناق على دعاة هزيمة وزلت بهم في الثورة الأقدام

وتناثرت تلك الهياكل وانطوت وتهاوت الأنصاب والأزلام[1]

فكلمتا" الأنصاب والأزلام" مأخوذتان من قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " [2].

إشارة منه إلى أن دعاة مهادنة المستعمر وقبول المستعمر وقبول العيش تحت حكمه يمثلون الشيء المحروم فالجزائر والمحتقر عند الشعب وان نجمهم صائر إلى الأقوال فهم رجس من صنف الأنصاب والأزلام المعرض عنها من قبل المسلمين

وقوله في اللهب المقدس الصفحة 16 :

وتسامى كالروح في ليلة القد ر سلاما يشع في الكون عيدا

وامتطى مذبح البطولة مع راجا ووافي السماء يرجو المزيدا

[1] اللهب المقدس ص47.

[2] سورة المائدة الآية 90.

يتناص مع قوله تعالى " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " ," تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿4﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ "[1] .

وقوله :

لن ينكر المجد إلا الجبا ن ولن يجحد الفضل إلا العتل[2]

اقتباس من قوله تعالى "وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ"[3].

فقد نقل الشاعر شعوره الدال على القلق والحسرة والضيق تجاه ناكري الخير والمعروف واستعمل لفظة "عتل " لتدل على الصفة التي يمكن إن تطلق على هؤلاء فولدت صورة شعرية ربطت الشاعر بالمتلقي .

وقوله:

إن تنصروا الله ينصركم وينجز أمانيكم الغالية [4]

[1] سورة القدر الآية 5.

[2] الإلياذة ص 54.

[3] سورة القلم الآية 10-13.

[4] اللهب المقدس ص 349.

فهذا من قوله تعالى :

" إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ "[1] حيث وردت ألفاظ الآية كاملة في الشطر الأول للبيت وهو بذلك يدعوا إلى الاتحاد والنصرة لدين الله في الأرض حتى ينعم المسلمون بنصر الله .

وقوله:

أمانا ! ألا يا سماء اقلعي فقد صبت الأرض انكالها

ويا ارض رحماك 'لا تبلعي صبايا البلاد وأطفالها [2]

يرتبط هذا النص بما حدث في زلزال الأصنام 1954 وصاحبه فيضانات عارمة وما يلاقيه الشعب الجزائري من بطش وظلم على يد المستعمر الفرنسي فأخذ الشاعر لفظ "اقلعي" من الآية الكريمة "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ . وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " [3] فهو يطلب من السماء أن تكف كي لا تتضاعف هموم ومحن الشعب الجزائري.

[1] سورة محمد الآية07.

[2] اللهب المقدس ص 247-275.

[3] سورة هود الآية 44 .

وقوله :

فهل الجزائر أفرغت فضلاتها وهل الجزائر أخرجت أثقالها [1]

أخذت من قوله تعالى :" إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) "[2] .

فالأثقال أراد الشاعر منها إبراز مخزون الجزائر الجهادي شانها شان الأرض عندما تثور .

وفي قوله :

دعا التاريخ ليلك فاستجابا نوفمبر هل وفيت النصابا

وهل سمع المجيب نداء شعب فكانت ليلة القدر الجواب

تبارك ليلك الميمون نجما وجل جلا له هتك الحجابا

زكت وثباته عن ألف شهر قضاها الشعب يلتحق السرابا [3]

هذه الصورة مستوحاة من قوله تعالى :" إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ"[4] .

[1] اللهب المقدس ص156.

[2] سورة الزلزلة الآية 1-2.

[3] اللهب المقدس ص 30 .

[4] سورة القدر الآية 5.

إن الشاعر متأثر بليلة القدر العظيمة نجد ذلك في توظيفه جل ألفاظ السورة القرآنية" ليلة القدر" " ألف شهر" وفي نفس السياق يقول:

تأذن ربك ليلة القدر وألقى الستار عن ألف شهر

وقال له الشعب :أمرك ربي وقال له الرب أمرك أمري [1]

وفي قوله:

بناشئة هناك أشد وطئا وأقوم منطقا وأحد نابا [2]

مستوحى من قوله تعالى :"إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلً " [3] فالآية الكريمة تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان الليل بين يدي ربه حتى تفطرت قدماه وبقي النصف الثاني من السورة حتى تأهل الرسول صلى الله عليه وسلم للقيادة [4] ونزل قوله تعالى:"إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ .وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ "[5] .فإن الشاعر وصف الذين يقاتلون العدو على أنه نشاء و مؤهل للقيادة

[1] الإلياذة ص 53.

[2] اللهب المقدس ص31.

[3] سورة المزمل الآية 6.

[4] بري حواس شعر مفدي زكرياء دراسة تقويم ص 332.

[5] سورة المزمل الآية 20.

والمفارقة بين البيت والآية تتجلى في كلمة "ناشئة " فإذا كانت الآية تعني بها مدرسة الليلية فان الشاعر يعني بها النشأة وقد وردت اسم فاعل في كل من البيت والآية [1].

وفي قوله:

من يكنز المال لم يسعد به وطنه يلمه فهو في الأموات معدود

جودوا به قبل أن تكوى الجباه به المال يفنى ويبقى الفضل والجود [2]

فهذا القول مستوحى من قوله تعالى :" وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ "[3]

فنجد ألفاظ: يكنز .المال .تكوى الجباه تمثل مفتاح المعنى في قول الشاعر وقد حافظ الشاعر على معانيها التي تدل عليها في الآية الكريمة .

وفي قوله:

ما دلنا عن موت من ظن انه سليمان منساه على وهمها خرا [4]

[1] السابق ص 334.

[2] اللهب المقدس ص 271.

[3] سورة التوبة الآية 34-35 .

[4] اللهب المقدس ص306.

فهذا الوصف لعظمة الثورة التحريرية ورسوخ أقدامها وصلابة مواجهتها للظلم وقد تناص مع الآية التي تتحدث عن قصة النبي سليمان عليه السلام في قوله تعالى : "فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ . فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ " [1]. فإذا كانت الآية تبرز جهل الجن للغيب بجهلهم موت سيدنا سليمان عليه السلام إلا بعد أن أكلت الأرض من عصاه فخر .فإن دلالة البيت عند مفدي زكرياء فهي إلى ديغول المتكأ على عظمة زائفة ما لبثت أن تحطمت على أيدي المجاهدين .

وقوله:

حالما كالكليم كلمة (المجد) فشد الجبال يبغي الصعود [2]

اخذ الشاعر لفظ" الكليم" و"كلمة" من الآية الكريمة :"وكلم الله موسى تكليما"[3]. إن الشاعر في اقتباسه من أحداث هذه القصة يتجلى في لحظة تكليم الله موسى عليه السلام على طور سيناء وهي لحظات تجسم إنتصار الحق على الباطل[4] .

[1] سورة سبا الآية 14.

[2] اللهب المقدس ص 9.

[3] النساء الآية 164 .

[4] ناصر محمد الشعر الجزائري الحديث خصائصه واتجاهاته الفنية ص 475.

ويقول في المنافقين :

يجادل فالحق بالشبها ت وان حصحص الحق جاء بإفك[1]

فعبارة (يجادل في الحق) مأخوذة من قوله تعالى :" يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ "[2] وعبارة (حصحص الحق) هي أيضا مأخوذة من قوله تعالى :" قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ "[3] .

ويقول متحدثا عن الثورة :

وصغنا مصائرنا بالرصا ص وبالرأي والحجة القاطعة

وتمت بها كلمات الإله التي وقعت باسمها الواقعة [4]

فالواقعة هي الثورة وقد وقعت واندلعت باسم كلمات الله وباسم الجهاد وتمت بالنيران والرصاص والحزم والرأي القاطع وهذا مستوحى من قوله تعالى :" إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ .لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ "[5] .

---

[1] الإلياذة ص 84.

[2] الأنفال الآية 6.

[3] يوسف الآية 51.

[4] الإلياذة ص 67.

[5] الواقعة الآية 1-2.

وقوله :

وثورة لشعوب الأرض ملهمة أحيت لواقحها بيضا وسمرانا

تعنو لوثبتها الدنيا وتكبرها وتفهم الكون بالرشاش معنانا [1]

فكلمة لواقح مأخوذة من قوله تعالى :" وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ "[2] .

فاللواقح هي الرياح التي تحمل السحب من أرض إلى أرض لتهطل في الأخير أمطارا تحييها فمن ارض الجزائر هبت رياح لواقح (وهي أخبار الثورة) حملت معها سحب (وهي فكرة التحرر) اخذ العبرة من الجزائر إلى أراضي أخرى فنزلت فيها أمطارا أحيتها من الموت.

ويقول في وصف جمال الصحراء:

وتحت خيامها إنحبست عيون لها هارون قد سجد احتباسا

وتحت خيامها إنبجست عيون أسالت من فم الدنيا لعابا

عشقنا عند أسمرها وسمرا فنون السحر والتبر المذابا [3]

هذا مستوحى من قوله تعالى:"وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ . وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ "[4]، إن في الصحراء خياما قد

[1] اللهب المقدس 297.

[2] الحجر الآية 22.

[3] اللهب المقدس ص 34.

[4] البقرة الآية 102.

إنحبست تحت ساحرة سجد لها هارون ملك السحر احتباسا لها وإعترافا بها ويعني بذلك عيون الغيب المقصورات في الخيام وتحت الخيام أيضا تفجرت عيون منابع ألفتت نظر العالم إليها، ويعني بذلك أبار البترول والغاز بصحراء الجزائر ويواصل استلهامه من القران الكريم ويقول :

وهزت مريم العذراء نخيلا فأسقطت الفلوذج والرضايا

عراجين كالمجرة مشرقات عسالجها إنسكبن بها انسكابا [1]

وهذا مأخوذ من قوله تعالى "وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا "[2] وذلك للتعبير عن منتوج الصحراء المتمثل في التمر اللذيذ والقيمة الغذائية العالية .

ويقول :

وفي القيادة أبقار معممة .... للعار تدفعها غربانها السود

وفي الوظائف أخشاب مسندة لا يستجيبون للحسن إذا نودوا[3]

استمد الشاعر صورة البيت الثاني من قوله تعالى :"وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ".[4] حيث وظف عبارة أخشاب مسندة لرسم نموذج من الناس يمتاز بالبلادة يحملون أجساما دون أرواح لا يسمعون ولايفهمون ولايفقهون وإذا

[1] اللهب المقدس ص 37.

[2] سورة مريم الآية 25.

[3] اللهب المقدس ص267.

[4] المنافقون الآية4.

نصحوا أو نهوا لا يوعون ولا يستجيبون وقد أراد الشاعر إبداء سخطه على هؤلاء فنعتهم بهذا الوصف فكان اوجد في هذه العبارة خير نعت .

وخلاصة الرأي في هذا التناص مع القران الكريم هو أن مفدي زكرياء إستفاد إستفادة عظمى من القرآن الكريم حتى أننا لا نكاد نجد قصيدة واحدة لم تتأثر باللفظ القرآني.

فأثر القرآن الكريم ظاهر جدا في شعره والممتع جدا هو إن هذا التأثر كان في محله لفظا ومعنى ولعل حسن توظيف اللفظ القراني أعطى القصيدة معنى جديدا وألبسها ثوبا الحقيقة وقوة التعبير وحسن التناسق وما نلاحظه في توظيف اللفظ القرآني انه يختلف من موضع لأخر ويمكن أن نميز نمطين للتعامل مع اللفظ القرآني .

أ) توظيف اللفظ دون المعنى :

نجده يأخذ اللفظ القرآني دون المعنى و يعبربه عن معنى غير قرآني وهذا يدل على اللغة القرآنية في معجمه واستيعابه لها وتأثره الكبير بها مثلما تم ذكره وذلك في قوله :

وفي سكرة ضيعو عزتي ولم يغني عني سلطانية [1].

فهو مأخوذ من قوله تعالى : " ما أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ "[2] .

وفي قوله:

ولن يخلف الله ميعاده ولا ريب ....ساعتنا آتية [3]

[1] اللهب المقدس ص 341 .

[2] الحاقة الآية 28-29.

[3] اللهب المقدس ص 349.

مأخوذة حرفيا من قوله تعالى: " وَلَن يَخْلِفَ الله وَعْده" [1] . وفي حديث من إنتصارات الثورة الجزائرية يقول :

والزرع أخرج فالجزائر شطأه فمضى وهب إلى الحصاد كرام[2]

مستوحى من قوله تعالى :" كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ " [3] .

وكذلك في قوله :

وتمت بها كلمات الإله التي وقعت باسمها الواقعة [4]

في البيت تكرار للألفاظ قرآنية ضمن قوله تعالى :" وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا "[5]

ومن الآية الكريمة " إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ "[6] .فإضافة هذه الألفاظ سيقت لتوضيح غلبة اللفظ ألقراني في لغة مفدي زكرياء وحسن توظيفه لها .

ب) توظيف اللفظ والمعنى معا :

في هذا المقام يلجأ الشاعر إلى نقل صورة بعينها لفظا ومعنى ويضمها إلى شعره بطريقة فنية تدل من جهة على سعة الثقافة القرآنية للشاعر ومن جهة أخرى براعته في التوفيق

---

[1] الحج الآية 45.

[2] اللهب المقدس 44.

[3] الفتح الآية 29.

[4] الإلياذة ص 91.

[5] الأنعام الآية 115.

[6] الواقعة 01.

الدلالي بين قصده ومعنى الآية وكأنه يريد أن يؤكد مدى تأثره بالقران الكريم وتحكمه في ألفاظه ومعانيه .

وقد مر معنا ذكر العديد من هذه الحالات أثناء ذكر بعض نماذج التناص ولا بأس أن نضيف حالات أخرى من ذلك قوله :

من يشتري الخلد إن الله بائعه فاستبشروا وأسرعوا فالبيع محدود.

"ففكرة البيت تقوم على أساس مفهوم تجاري يتخلص في شراء جنة خلد بما يقدم ثمنا لها من نفوس وأموال "[1] والمفهوم مستوحى قوله تعالى :" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "[2] . فالشاعر قد استوحى الآية معنا ولفظا .

2) التناص التاريخي :

تعد ظاهرة استدعاء الأحداث والشخصيات التاريخية من الظواهر الفنية البارزة في الشعر العربي المعاصر .حيث استثمرها الشاعر المعاصر لإعطاء نصوصه الشعرية نوعا من الامتداد الزماني وحتى الامتداد الإنساني والتاريخي لها. فقد أدرك أنه باستغلاله هذه الإمكانيات يكون قد وصل تجربته بمعنى لا ينصب من القدرة على الإلحاء والتأثير وذلك

[1] يحيى الشيخ شعر ثورة مفدي زكرياء ص 367.

[2] التوبة الآية 111.

لأن المعطيات التراثية تكتسب لونا خاصا من القداسة في النفوس الأمة ونوع من اللصوق في وجدانها .

فكان التناص مع هذه الشخصيات والأحداث واستدعائها يجلب تاريخا طويلا ودلالات معينة يراها الشاعر مناسبة للفكرة التي يود طرحها لما تحمله هذه الأحداث من إمكانيات فنية تخدم نصه الشعري وتعطيه مزيدا من الإيحاء والتأثير وتبين القراءة التحليلية للإلياذة .

مفدي زكرياء استحضاره لأحداث وشخصيات تاريخية مهمة والتي تركت بصمتها في الوجدان العربي كونها تمثل أبعاد ثقافية والفكرية في الوجدان الأمة العربية فيسقط بذلك الماضي على الحاضر لإثراء دلالة النص الشعري .

والإلياذة أحسن سجل لتاريخ الجزائر حتى اليوم أي أحسن كتاب فيه وعنه وله وحتى إذا ما كتب هذا التاريخ يوما ما بصفة كاملة شاملة فستبقى إلياذة الجزائر أروع تاريخ الجزائر وأكثره واقعا في النفوس وأسهله على الحفظ والتذكر والإستشهاد في معرض الاستشهاد والاحتجاج [1].

[1] إلياذة الجزائر ص 12-13 .

ولقد استطاع مفدي زكرياء في بعض القصائد التي اتخذها نموذجا لهذا الشكل من التناص أن يثري قصائده ويمنحها طاقات تعبيرية لا حدود لها من خلال تناصه مع أحداث مختلفة ساعده ذلك على تمكنه من عنصر التوظيف والاستدعاء ونجد في إلياذته انه تحدث حول الجزائر من جانب التاريخ القديم ليقدم وجهها الحضاري العريق فغاص في أعماق التاريخ متتبعا مختلف الدول وشتى الحضارات التي قامت على ارض الجزائر الشخصيات التي كان لها يد في بناء صرحها فذكر الأمازيغ والمدن التي إنشاؤها والحروب التي قامو بها ضد الرومان الغازين وما خلده من مآثر و خصال [1].

ويظهر في قول مفدي زكرياء :

اشرشال! .....هلا تذكرت يوبا ومن لقبوا عرشك القيصرية

ومن مصروك فنافست روما وشرفت اقطارنا المغربية

لماذا يلقب يوبا بثان اما حقق السبق في المدنية

وباهى شرشال جنة عدن وزان حدائقها السندسية[2]

ثم وقف الشاعر طويلا عند الفتح الإسلامي فشاد بالبطل عقبة بن نافع وصوامعه وجوامعه فقال :

ومرحى لعقبة في أرضنا ينير الحجى ويشيع اليقينا

ويعلي الصوامع في القيروا ن يرفعها للدفاع حصونا

[1] يحيى شيخ صالح .شعر الثورة عند مفدي زكرياء (دراسة فنية تحليلية) الجزائر 1987ص211 .

[2] إلياذة الجزائر، ص 39 .

كم الحقوا بالمهاجر ذلا فذاق العذاب الأليم الوبيلا

فيا عام ستين قص علينا فضائح جيش يذوب غليلا [1]

عند قراءتنا لإلياذة مفدي زكرياء نجده يحشد شخصيات تاريخية عديدة من خلال تناصه معها ساعده ذلك على تمكنه من عنصر التوظيف والاستدعاء فعندما أراد الشاعر الحديث عن المقاومة الجزائرية ضد المحتلين نجده استدعى شخصية تاريخية هي شخصية احمد باي الذي نشطت المقاومة على يده وهنا يظهر التناص من خلال قوله :

غز الأمور يسير احمد باشا فقمنا بسيرتا نصون الحمى [2]

بالإضافة لاستدعاء زكرياء لشخصية الأمير عبد القادر الذي قاوم ببسالة طوال ثماني عشرة سنة وحققوا انتصارات كثيرة حيث يقول :

أيا عبد القادر كنت قديرا وكان النضال طويلا عسيرا [3]

وأيضا استحضار لشخصية لالة فاطمة نسومر التي قادت الثورة في جبال جرجرة ويظهر ذالك من خلال قوله :

وتذكر ثورتنا العارمة بطولات سيدتي فاطمة

يفجر بركانها جرجرا فترجف باريس والعاصمة [4]

---

[1] إلياذة الجزائر ص77 .

[2] المرجع نفسه ص52.

[3] المرجع نفسه ص 53.

[4] المرجع نفسه ص55.

ويعرف التناص التاريخي بأنه تداخل نصوص تاريخية مختارة ومنتقاة مع النص الأصلي للقصيدة تبدو مناسبة ومنسجمة لدى المؤلف والحقيقة أن في إلياذة مفدي زكرياء الكثير من التناصات التاريخية في جوانب متعددة من النص و بتوظيفات مختلفة وبالتالي نرى أنه لا يمكن لأي عمل أدبي شعرا أو نثرا ذو إنتاج فردي في مجتمع ما أن يمتلك معارف مسبقة يربطها بمعارفه الجديدة تنتج نص إبداعيا جديدا.

3/التناص مع الشعر العربي القديم:

لمفدي زكرياء ثقافة عميقة واطلاعا واسعا على التراث الأدبي العربي وخصوصا الشعر العربي القديم ومن الشعراء الفحول الذين تأثر بهم وظهرت بصمائهم في إلياذته نذكر :

(المتنبي، أبي العلاء المعري، أبو فراس، أبو تمام، أبي نواس) فلم يحافظ مفدي زكرياء على إيقاعات الشعر العربي القديم فحسب بل يعد من ابرز الشعراء العرب المحدثين الذين دافعوا عن عروض الشعر العربي وعموده ويظهر إعجابه وتأثره به من خلال حضور نصوصه ومعانيه وألفاظه في شعره .

ويظهر تأثره في المشهد "48" المتمثل في "السينية " التي رثى فيها ضحايا 08 ماي 1945 ومطلعها :

ولم تنس في أربعين وخمس ضحايا المذابح في يوم نحس

طربنا مع الحلفاء اغترارا وقمنا نصفق من غير عرس[1]

[1] إلياذة الجزائر ص66.

وهذه السينية جاءت قوافيها على الترتيب :نحس،عرس، درس، جرس، حبس، لبس، بخس همس، خرس، رجس، ويضيف رثاءه لمجازر 1945 وهذه القصيدة مقتبسة من قول البحتري :

مزعجا بالفراق عن انس ألف عز أو مرهقا بتطليق عرس

عكست حظه الليالي وبات ال مشتري فيه وهو كوكب نحس [1]

[1] ديوان أبي عبادة البحتري حسن كامل الصرفي دار المعارف القاهرة الطبعة 3(د.ت) ص 1159 .

ونلاحظ أيضا تأثر الشاعر مفدي زكرياء بالشاعر أبي نواس ويظهر المشهد 96 حيث شعر مفدي زكرياء بموعد رحيله مع اقتراب إلياذته من النهاية ..فلجأ لجوء التائب الخائف إلى دعاء ربه بان يغفر له ذنوبه .وخصص لذالك مشهدا كاملا للتوبة ورجاء الغفران نذكر منها :

فيارب قد أغرقتني ذنوبي وأنت العليم بما في الغيوب

أتوب إليك بإلياذتي عساها تكفر كل ذنوبي

عصيتك علما انك تعفو على المسرفين فهانت خطوبي

ولولا صفاتك : رب غفو ر.رحيم .لضاقت علي دروبي [1]

وفي هذا الصدد قال "أبي نواس" :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت إن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم

أدعوك ربي لما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم [2]

[1] إلياذة الجزائر ص114.

[2] إبراهيم شمس الدين شرح ديوان أبي نواس (الحسن بن الهاني) دار الصبح بيروت الطبعة 01-2008م.ص558.

ومن البحتري وأبي نواس إلى الشاعر الفيلسوف "أبي العلاء المعري " الذي تؤثر بهم فدي زكرياء في هيامه بالجزائر ويقول في ذالك :

فيا أيها الناس ....هذي بلادي ومعبد حبي وحلم فؤادي

وإيمان قلبي .وخالص ديني ومبناه ...في ملتي واعتقادي

بلادي احبك فوق الظنو ن واشدوا بحبك في كل نادي

عشقت لأجلك كل جمي ل .وهمت لأجلك في كل وادي..

وأوقفت ركب الزمان طويلا أسائله عن ثمود .....وعاد ....

وعن قصة المجد من عهد نوح وهل ارم ....هي ذات العماد ؟[1]

ويقول "المعري " ذالك في ضجة الموت رقدة :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد[2]

ومن خلال تتبعنا للأبيات الشعرية نلاحظ أن مفدي زكرياء لجا إلى الاقتباس الواضح في عبارة "ملتي واعتقادي " واهم الشعراء القدامى الذين تأثر بهم مفدي زكرياء نجد المتنبي ويبرز ذالك من خلال اللغة القوية والعبارات الفخمة والمبالغات التي ميزت شعره ولم

[1] إلياذة الجزائر ص37.

[2] أبو العلاء المعري – سقط الزند–دار بيروت وصادر بيروت (د.ط) 1957 م.ص 7.

ينحصر تأثر مفدي زكرياء بشعر المتنبي فقط بل تعداه إلى إعجابه بشخصيته القومية وأفكاره العميقة وحكمته التي تعد خلاصة تجاربه الطويلة في معارك الحياة . وما دل على ذالك من هذا التلاقي الفكري الذي نلاحظه بين موقف شاعرين ونظرتهما للحياة .فقد عرف المتنبي باعتزازه القوي بنفسه وكبريائه الذي يصل إلى حد الغرور أحيانا وتطلعه الدائم إلى السطو والنفوذ.وعرف مفدي زكريا كذالك بطموح شعري وقوة في الشخصية وثبات فالمبدأ لا يزحزحه إرهاب ولا يصرفه تعذيب أو سجن يمنعه عن أداء أمانته العريضة نفس ولا اغتراب .كما يلقى الشاعران في أيمانهما المطلق قوة وفلسفة في هذه الحياة وان اخذ الحقوق إنما يكون انتزاعا وغلبة ورفض إنصاف الحلول .

ويقول المتنبي في قصيدة "لا يسلم الشرف الرفيع" :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم[1]

ويعتنق مفدي زكرياء هذه الفلسفة ويقول :

وطالت خرافات حرب الكلام وما بلغ الشعب فيه المرام

فأمن بالنار من عرفوها ومن كاشفتهم يسر النظام

إلى أربعين وتسع سلامي وقد بلغ الشعب فيها الفطام

فكانت شرارة حرب الخلا ص.وإن أخفتوها بلغو الكلام[1]

[1] ديوان المتنبي دار بيروت ص 571.

ويقول المتنبي عن غربته النفسية والفكرية في أخر قصيدته "غريب كصالح في ثمود" :

انا ترب الندى .ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود

انا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود [2]

ويقول "مفدي زكريا" عن غربته أيضا :

وقالوا هجرت ربوع البلاد وهمت مع الشعر في كل وادي

أجل ...قد بعدت لازداد قربا ويلهب حب بلادي فؤادي

وإن بلادا تصدر فكرا وكانت تصدر عن الجهاد

وإني بتخليد مجد بلادي مقيم على العهد رغم البعاد[3]

[1] إلياذة الجزائر ص 68.

[2] ديوان المتنبي ص 22.

[3] إلياذة الجزائر ص117.

وهكذا فإن تأثر مفدي زكرياء بالشعر العربي إتخذ أساليب مختلفة, فأحيانا يكون في شكل اقتباس وأحيانا أخرى في شكل تضمين ,وبذلك تكون المصادر الأدبية التراثية منابع فكرية وأسلوبية معجمية للكثير من نصوص مفدي زكريا إذ أنه يعيد قراءتها ويتعانق معها بمنهجية تناصية تزيد من روائع بدائعه عمقا في المبنى والمعنى .

خاتمـــة

خاتمة :

لقد كان موضوع البحث ثريا وواسعا اذ تناولنا فيه التناص كمصطلح نقدي غربي معاصر تربع على الدراسات الأدبية وأصبح من المناهج أكثر تداولا بين النقاد . وحاولنا إبرازه في إنتاج الشاعر مفدي زكرياء وبعد هذه الدراسة يمكننا أن نسجل هذه النتائج :

* إن مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية بدون منازع عاش لها وصور أحداثها وذكر تجاربه فيها .

* تشبع مفدي زكرياء بفكرة وحدة أقطار المغرب العربي والأمة العربية الإسلامية .

* إن التناص في صورته النظرية هو محصلة الفكر النقدي الأوروبي .

* إنقسم نقاد العرب إلى مؤيد ومعاض لفكرة التناص بأن أصوله عربية أو غربية فأثمر هذا الإختلاف تنوعا نقديا في الدراسات الأدبية الحديثة .

* يعتبر التناص مصطلحا جديدا .فقد كان يطلق عليه عدة معاني : كالسرقات الأدبية .التضمين الاقتباس ...الخ

* إستطاع الشاعر من خلال تعامله مع القران الكريم استلهام روحه والنسيج على منواله .

* لم يجد مفدي زكرياء صعوبة في توظيف النص القرآني في شعره وذلك لاطلاعه على المصطلحات البلاغية وحفظه لكتاب الله وتشبعه بالثقافة الإسلامية .

* كثرة التناص القرآني في شعره راجع إلى بداهة الاستحضار وقدرة تعامله مع اللغة ولغة القران خاصة .

* يعتبر القران الكريم المنبع الأساسي لأكثر التناصات الموجودة في شعر مفدي .

* تكمن وظيفة التناص في إثراء العمل الأدبي بالاقتباسات سواء المتعلقة بالشكل أو المضمون حيث يوظف الشاعر هذا العمل ضمن قواعد واطر تتعدد مدى نجاحه أو فشله .

و إنطلاقا مما سبق ذكره يتضح لنا جليا التناصات في الإلياذة بحيث أنها كانت ثرية ومتنوعة .هذا ما وجدناه ولاحظناه من خلال التناص مع القرآن . التناص التاريخي ، وحتى التناص مع الشعر العربي القديم, فهذا التنوع أضفى على الإلياذة حلة جمالية وإبداعا باهرا فاستعمل أدواته باقتدار هذا ما إنبنى على غزارة ثقافته التي وسعت أفقه في معظم الأغراض التي تطرقها الشعر العربي قديمة وحديثة واستلهامه من التراث والتاريخ والمناظر الطبيعية التي أضافت حلة جمالية عليها .

وليست الخاتمة نهاية لفكرة البحث لأن البحث لا ينتهي بجهد متواضع جزئي .إنما يبقى فضاءا واسعا لاحدود له بإمكان الراغب في البحث إن يزيد في إثرائه .

ونتمنى ختاما أن نكون قد وفقنا في معالجة هذا الموضوع وأعطينا صورة واضحة عن شعر مفدي زكرياء شعره وتناصاته المختلفة .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم .

* احمد بن فارس بن زكرياء معجم مقاييس اللغة عبد السلام هارون دار الفكر دمشق ط02، 1979 م.

*احمد الزغبي، التناص التاريخي والديني مقدمته نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية "رؤيا" لهاشم غرابية .مجلة أبحاث اليرموك ،الأردن، (د.ج 13-14) ،1990 م.

*احمد ناعم، التناص في الشعر الرواد دراسته دار الأفاق العربية، القاهرة ،مط 1، 2007 م.

*إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية شهاب الدين عمر، دار الفكر، دمشق، 1990 م.

*رجاء عيد، القول الشعري منظورات معاصرة ،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر الإسكندرية،ط02، 1995 م

*حسن محمد حماد ، تداخل النصوص في الرواية العربية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

*حصة البادي ،التناص في الشعر العربي الحديث "البرغوث نموذجا " دار كنوز المعرفة عمان،ط1، 2009 م

*حواس بري ، شعر مفدي زكرياء، دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،ط1994،2 م .

*صباح باي، التناص في شعر مفدي زكرياء، الالياذة نموذجا، جامعة بوضياف المسيلة 2014-2015 م .

* محمد بن مكرم بن علي ابن مفكور، لسان العرب ت.ج عبد الله علي الكثير وآخرون ، دار صادر بيروت لبنان،ط3، 2010 م

*محمد بنيس حداثة ،السؤال بخصوص الحداثة في الشعر والثقافة، دار التنوير، الدار البيضاء المغرب

* محمد خيرالبقاعي، دراسات النص و التناصية مركز الإنماء الحضاري سوريا،ط1، 1998 م

*محمد عزام، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، 2001 م .

*محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تاويل واقعي المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،ط2، 1999 م.

*محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "إستراتيجية التناص" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .

*مفدي زكرياء، اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،ط2، 1983م.

* يحيى بن مخلوف، التناص مقاربة معرفية في ماهيته وأنواعه وأنماطه، لحسان بن ثابت نموذجا ،دار م باتنة 2008م .

فهرس

الموضوعات

-البسملـــة.

- الإهـــــداء.

- شكـــــر وتقديـــــر.

- مقدمـــــــة.....ب

- المدخـــــل : - لمحة عن مسيرة الشاعر مفدي زكريا.

1- مولده و نسبه.....02

2- ثقافته و أساتذته 02

3- نشاطه السياسي و الفكري.....04

4- وفاتـــــه.....08

5- آثار مفدي زكريا الأدبية و مؤلفاته.....08

الفصل الأول : التنـــــاص.

- المبحث الأول : تعريف التناص لغتا وإصطلاحا.....11

- المبحث الثاني : التناص عند الغرب والعرب المحدثين.....13

- المبحث الثالث : أنواع التناص (الداخلي، الذاتي، الخارجي والمرحلي).....20

الفصل الثاني : تجليـــــات التنـــاص في إليادة الجزائـــــر.

- المبحث الأول : التناص مع القرآن الكريم.....23

- المبحث الثاني : التناص مع التاريخ.....38

- المبحث الثالث : التناص مع الشعر العربي القديم.....42

- خاتمة.....51

- قائمة المصادر والمراجع.....53

- فهرس الموضوعات.....56